القسم الأول

في الدروس

الدرس الأول

النية وأثرها في العمل

النية وأثرها في العمل

النية أساس كل عمل، وهي القصد المؤكد وبها يتوجه البدن نحو تنفيذ مضمون هذه النية، ومحلها القلب، فإذا قصد الإنسان أن يقوم بعمل ما، فإن بداية هذا القصد يُسمى حديث النفس، وإذا تأكد ذلك باتجاه الإرادة نحو هذا الفعل، عندئذ تصبح نية، ثم تظهر هذه النية على الجوارح، إما على اللسان أو على الأطراف أو على ملامح الوجه ونحو ذلك، وهذه النية يراعيها الشرع ويعتبرها أساساً للعمل، فقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

والهجرة هي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان، والانتقال حركة حسية بدنية يشترك فيها جميع المنتقلين، فالذين هاجروا مثلاً من مكة إلى المدينة وتحركوا هذه الحركة كانت نواياهم مختلفة، فمنهم من قصد بهجرته إرضاء الله تعالى ورسوله ﷺ، ومنهم من قصد بهجرته أن يحقق منفعة خاصة به، والناس لا يستطيعون التفريق بين هذا وذاك، لأن النية محلها القلب، وما من القلب لا يعلمه إلا الله ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2] وهذا القلب هو عمدة قبول العمل أو ردّه فإن النبي ﷺ يقول: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[3].

وقد يبين لنا النبي ﷺ أهمية النية ومدى تأثيرها في السلوك والعمل فقال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» فتعجب الصحابة من ذلك، فقالوا: (يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه قد

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، انظر الترغيب والترهيب ح ١ ص ٥٧ باب الترغيب في الإخلاص، رقم الحديث ١٥.

(٢) فاطر آية ٣٨.

(٣) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٣٣ كتاب البر والصلة. باب المسلم أخو المسلم. رقم الحديث ١٧٧٦.

أراد قتل صاحبه)[1] فمن حيث الظاهر هناك ظالم ومظلوم، ومن حيث الحقيقة كلاهما ظالم، ولذلك حاسبهم الله تعالى على النية، لأن هذه النية أصبحت مؤكدة ومعزوماً عليها، بدليل أن كل واحد منهما حمل سلاحه وأراد قتل صاحبه. فالنية فيهما واحدة والعمل مختلف فكان الجزاء على ما في القلب، ومحل هذا الاعتبار هو وقت الفتنة حيث لا يعرف وجه الحق فيها. وأما القتال دفاعاً عن النفس فلا حرج فيه.

وفي الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، قالت عائشة: يا رسول الله: يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم من ليس منهم؟ فقال: يا عائشة: يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم»[2].

وقد كانت وسائل النقل في الماضي بطيئة والمسافات طويلة: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[3]. فكان اللصوص يتربصون المسافرين فيقطعون عليهم الطريق، فيسلبون ما عندهم من مال وربما سلبوهم حتى نساءهم، فكان المسافرون من بلد إلى بلد يخرجون في جماعات ليعجز قطاع الطريق عن ملاقاتهم والتعدي عليهم، وأحياناً يخرجون مع الجيوش فيكونون بالقرب منها، إلى أن يصلوا إلى البلد المقصود لهم، وها هنا عندما يغزو ذلك الجيش الكعبة - وهذا بين يدي الساعة في آخر الزمان - ينتقل هذا الجيش من بلد العدوان إلى مكة المكرمة متجهاً إليها، ومعه هؤلاء الناس المسافرون الذين قصدوا من مرافقة الجيش تحقيق الأمن لأنفسهم للوصول إلى مكة، فالجيش قاصد بخروجه إلى مكة المكرمة التعدي على حرمة بيت الله فيها، وأما الذين مع الجيش فإنما قصدوا مرافقة الجيش من أجل

---

(١) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٩٢ كتاب الفتن باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما. رقم الحديث ٢٠٠٥.

(٢) رواه مسلم، ولفظه: يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم، فقلت يا رسول الله: فكيف بمن كان كارهاً، قال: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته). انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٩٨ كتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، رقم الحديث ٢٠٣٠.

(٣) النحل آية ٨.

الأمن، ولكن عندما تنزل العقوبة تنال الجميع، ثم يبعثون على نياتهم. وقد يكون المقصود بمن ليس منهم من اكره على الخروج مع الجيش من عناصره وضباطه. والله تعالى أعلم.

ويجب أن تكون النية في العمل خالصة لله تعالى وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1] فكل عمل من أعمال العبادات يحتاج إلى نية، ويجب أن تكون هذه النية خالصة لله تعالى فلا يشاركه فيها غيره كما قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[2].

وأيضاً فإن النية تفرق بين العادة والعبادة، فقد يقوم المرء بعمل من أعمال العادات المنتشرة بين الناس، كالزواج مثلاً فإنه ينشأ عن الميل الطبيعي في الرجل إلى المرأة لأنها فرع عنه وفيها إليه لأنه أصلها كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾[3].

فالذي يتزوج بقصد أن يعف نفسه عن الحرام يؤجر على ذلك، ويصبح زواجه عبادة، كما أن نفقته على امرأته وعياله إذا قصد بها وجه الله تعالى فإنها تكون عبادة ويكون له عليها أجر عند الله تعالى كما قال ﷺ لسعد بن أبي وقاص (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك)[4] وفي رواية (إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهي له صدقة)[5].

والذي يتعلم العلم الشرعي ليعمل به، ويدعو الناس إليه ويخلص نيته لله تعالى في ذلك يؤجر عليه عند الله عز وجل، فقد قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) البينة آية ٥.
(٢) رواه مسلم: انظر مختصر مسلم ح ٢ ص ٣١٥ كتاب الزهد. باب من أشرك في عمله غير الله سبحانه. رقم ٢٠٨٩.
(٣) النساء آية ١.
(٤) رواه البخاري ح ١ ص ٢٢ كتاب الإيمان. باب ما جاء أن الأعمال بالنية.
(٥) نفس المصدر عن أبي مسعود مرفوعاً.

ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1] وفي الحديث (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[2] وفي الحديث أيضاً (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة)[3].

فيجب تصحيح النية وتفقدها عند العمل لتكون خالصة لله تعالى كي يكون العمل مقبولاً عند الله تعالى فيؤتي ثماره في الدنيا والآخرة. لأنه يصير بتلك النية عبادة.

---

(١) المجادلة آية ١١.
(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه. انظر الترغيب ح ١ ص ٩٢. كتاب العلم. باب الترغيب في العلم. رقم ١.
(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي. انظر فتح الباري ح ١ ص ١٦٠ كتاب العلم. باب العلم قبل القول والعمل. رقم ١٠.